فرچينيا ألفييرى

بقلم: إبراهيم المويلحى

عصر الفييرى :

كانت ايطاليا ، خلال القرن الثامن عشر مفككة الأوصال ، منقسمة على نفسها ، حيرى بين ملوك الطوائف من أهلها الذين استقلوا ببعض مدنها ومقاطعاتها ، وبين احتلال النمسا لميلانو وتوسكانا ؛ واسبانيا لنابولى وبارما ؛ وفرنسا التى أرادت أن تؤمن حدودها فاستولت على بييمونتى Piemonte حليفة النمسا ، وعلى سافويا .

وشهد هذا القرن حركة الاصلاحات والثورات الفكرية . وتزعمت فرنسا هذه الحركة فى أوربا بفضل مؤلفات مونتسكيو وفولتير ، وروسو ، ودوكلو ، وديدرو. بل ان كثيرا من الملوك كانوا يستقدمون كبار الأدباء والمفكرين الفرنسيين للاقامة فى بلاطهم لتعليم أبنائهم من الأمراء . والمشهور فى التاريخ أن كاترين الثانيةوفريدريك الثانى وماريا تيريزا وجوزيف الثانى كانوا لا يستخدمون الا اللغة الفرنسية . ولقد اختير الفيلسوف الفرنسى كوندياك Condillac مربيا لوريث عرش بارما بايطاليا .

وحاول امبراطور النمسا جوزيف الثانى ـ وكان فيلسوفا ـ توحيد شعوب البلاد الواقعةتحت سلطانه (المانيا ورومانيا وايطاليا والمجر وبلجيكا) ولكنه لم يفلح . وأظهر عداوته للكرسى البابوى فأباح الزواج المدنى والطلاق وصادر أموال وأملاك حوالى ٨٠٠ دير مما دفع البابا بيوس السادس الى السفر سنة ١٧٧٢ الى فيينا ليقنع الامبراطور بالتزام جانب الاعتدال وعدم امتهان الفاتيكان ، ولكن دون جدوى .

وفتحت الحركة الأدبية الفرنسية ، وعلى رأسها كورنى وراسين ، عهد التراجيديا الهادفة فى ايطاليا ، وتزعمها مافى Maffei ومارتللى وكونتى والأب بيانكى وجرافينا ـ شاعر امبراطور النمسا . ثم بزغ فى سماء ايطاليا نجم شاعر فذ ،

جمع بين فنون التراجيديا والكوميديا والغزل والنقد والسياسة ، هو فيتوريو الفييرى الناقم على الملكية التى مزقت فى نظره وحدة وطنه وقطعت أوصاله وتركته نهبا فى يد الغاصبين الأجانب . لذلك جاءت مسرحياته مشبعة بآرائه وأفكاره الثائرة على الأوضاع القائمة فى ايطاليا.

أما هدفه من تراجيدياته ، فتلقين أهل بلاده الحرية والأخلاق الحميدة . ونراه يقول عنها فى مذكراته : « ان ما أخرجه للناس من انتاجى الفكرى،انما هو لتلقينهم أصول الحرية ليصبحوا أحرارا أقوياء كرماء متلهفين على الفضيلة » .

وفعلا نجد الفييرى قد اهتم بابراز الأخلاق البشرية على فطرتها ، من سخاء وبخل وحب وكراهية ، وحلم وغضب ، وطيبة وخبث ،ورحمة وقسوة، كما اهتم بالسياسة من خلال الموضوعات التاريخية القديمة ليبرز من بين طياتها ، كراهيته لاستبداد الحكام بالشعب الضعيف المغلوب على أمره ، وكراهيته للمحتل الذى استولى على ثروات الوطن واستعبد أهله ، وليوعز من ثناياها الى ضرورة لم شعث الأمة الايطالية ، والى الثورة فى وجه المستعمر ، واسترداد الوطن السليب منه .

ونراه اختار التراجيديا بالذات « لأن لذة التأثر من المسرحيات المعالجة للمآسى الانسانية ـ كما يقول الأديب الايطالى « فيتشينللى » Vicinelli — أصبحت فى القرن الثامن عشر عنصرا ضروريا فى الحياة الوطنية الايطالية ».

وسنرى فى معالجتنا لحياة الفييرى وآثاره كيف كان هذا الأديب الفذ يدرس الموضوع التاريخى من جميع نواحيه ، حتى اذا ما امتلك جوانبه تماما ، سار به فى المجال الوطنى الذى يريد ابرازه لأهل بلده ، فى أسلوب لا اطالة فيه مملة ، ولا اسهاب مضجر ، فيحرك به مشاعر الجماهير .

ويكفى الفييرى فخرا أن اللورد بايرون اعترف بأنه بكى عندما شهد له مسرحيته ميرا « Mirra »

حياته وآثاره :

ان الطابع الذى تميز به القرن الثامن عشر ، كما قلنا ، هو تطور العقلية الايطالية الذى مهد للنهضة السياسية . ويرجع فضل هذا التطور الى جولدونى وبارينى والفييرى .

واذا كان الأول قد كسا الفن بالواقع ، وأضفى الثانى على الشعر معا فى العزة والكرامة، فان الثالث بعث من ثنايا الفن صوت الحرية وحماس الوطنية ،فأيقظ ايطاليا من سباتها وجعلها تهب من رقدتها .

ولقد كفانا الفييرى مؤنة البحث والتنقيب عن تاريخ حياته فى مختلف المراجع ، حيث كتبها بقلمه بأمانة واخلاص مقلدا فى ذلك صنوه الفرنسى الأديب الثائر جان جاك روسو .

ان من يقرأ «حياة» الفييرى التى خطها بيراعه، يلاحظ فيها أن هذا الرجل الوطنى النزعة،القوى، المقدام فى نقده وسخريته ، كان خاملا متراخيا فى الشطر الأول من حياته كالسواد الأكبر من أبناء النبلاء والأغنياء . ثم ذاق طعم الهوى مره وحلوه، فراح يبنى نفسه بنفسه ويعوض ما فاته من حياة الاستهتار واللهو ، فانكب على دراسة آداب اللغة الايطالية ثم اللاتينية فاليونانية . وكلما زاد علما ، كلما زاد اعتداده بنفسه ، ونمت عزيمته،وتجلت وطنيته فى سخطه على الاستبداد،

واستنكاره لوجود المحتل الغاصب فوق أرض ايطاليا .

ولد « فيتوريو الفييرى » — أول شاعر تراجيدى محدث أنجبته ايطاليا — فى ١٧ من يناير سنة ١٧٤٩ بمدينة — استى : Este التابعة لمقاطعة بييمونتى Piemonte وهو ينحدر من أسرة اشتهرت بنبل الأرومة ، حيث يحمل لقب « كونت » ، كما اشتهر بالثراء وسعة العيش .

كان الوليد فى العام الأول من عمره عندما فقد أباه ، وتزوجت أمه برجل آخر . ويتهمها بعض المؤرخين باهمالها تربية ابنها ، ولكنها فى الواقع ، اهتمت به ، فقد خصصت له ، كماكانت العادة وقتذاك فى الأسر الكبيرة ، مربيا ملازما له لتلقينه مبادىء الكتابة والقراءة ، يدعى دون ايفولدى Don Ivoldi

وعندما بلغ الصبى التاسعة من عمره ،الحقته بأكاديمية تورينو ، فى قسمها الداخلى ، وكانت من أكبر كليات أوروبا فى ذاك العصر ، حيث يتهافت عليها أبناء الكبراء والعظماء من مختلف البلدان الأوروبية . وكان فيتوريو يستمع بشوق شديد الى أحاديثهم وحكاياتهم عن جمال ومباهج أوطانهم ، فمال الى حب الأسفار ليقف بنفسه على ما سمع ويستمتع بمشاهدة هذه البلاد الأجنبية .

كانت الدراسة فى هذه الأكاديمية باللغة الفرنسية لشهرتها واتساع رقعتها ، كما بينا ذلك فيما سبق من الكلام .

قضى الفتى ثمانى سنوات فيها،تلقى خلالها ، الى جانب العلوم والتدريبات العسكرية ، قواعد اللغة الفرنسية والخطابة والفلسفة .وعندما تخرج منها ضابطا برتبة « بيرقدار » portinsegna فى فرقة أستى العسكرية ، كان رأسه قد امتلأ بالثورة على أوضاع المجتمع الذى يعيش فيه ، وعلى السياسة الملكية الاستبدادية . ويقول عن نفسه بأنه استفاد من الأكاديمية هواية ركوب الخيل واقتنائها ، وحب القراءة الى حد الشغف بها ، وبالقصص التاريخية والروايات الفرنسية .

ما كان الفييرى ، ذلك الفتى الممتلىء نشاطا وحركة ، الميال بطبيعته الى المشاكسة والفوضى ، ليرضى بحياة الجيش الرتيبة التى تقوم على الطاعة والاذعان للأوامر ، فتركها بعد تخرجه بفترة قصيرة .

ووجد الفتى نفسه فى فراغ كبير ، فتعلم الموسيقى وولع بالمبارزة واضطر — على حد قوله — الى تعلم الرقص على مضض منه .

وفى أواخر سنة ١٧٦٦ مات الوصى على أمواله فأصبح الفييرى يتمتع بثروة طائلة استغلها فى الاستمتاع بالأسفار والرحلات وشراء الجياد .

وما ان هلت سنة ١٧٦٧ حتى اصطحب خادمه الأمين ايليا الى نابولى فالبندقية . ثم سافر بمفرده الى باريس مدينة النور والحرية — كما كان يتخيلها — ولكن سرعان ما خاب أمله فيهاوتبددت أحلامه بعد ما لمسه فى أهل باريس من تراخ فى الأخلاق ، فأطلق عليها اسم « مدينة الوحل » Lutopoli وتركها قاصدا لندن فهولندا حيث وقع فى شراك امرأة دفعه حبه لها وغيرته عليها — كما يقول — الى مبارزة غرمائه ، ثم مل عشرتها فتركها عائدا الى أرض الوطن ونفسه مليئة بالملل والسأم . ويقول فى مذكراته انه كان

يقرأ خلال رحلاته هذه مؤلفات ماكيافللي وروسو وفولتير.

وفي سنة ١٧٦٩ حن الى الأسفار ، فذهب الى النمسا والمانيا والدانيمارك والسويد ثم بروسيا وروسيا حيث لاحظ أن المجتمع في هاتين الدولتين الأخيرتين منقسم الى سادة طغاة وعبيد محتقرين، ولاهم للطبقة السائدة الا استغلال الطبقة الدنيا والاستمتاع بثمرة كد أفرادها . ثم قصد لندن حيث ذاق فيها طعم الحب مرة أخرى ، ولكنه كان حبا ذليلا – على حد قوله – غير جدير به ، ففر من معشوقته الى اسبانيا فالبرتغال حيث تعرف برئيس أحد الأديرة يدعى الأب كالوزو Caluso وتوطدت بينهما صداقة متينة . وأخيرا عاد الى تورينو في سنة ١٧٧٢ حيث مكث فيها الى سنة ١٧٧٤ .

لقد علمته هذه الأسفار كيف يحب وطنه ويعمل من أجل خلاص شعبه من استبداد الحكام ونير المحتل . ويقول في ذلك « انتابتني التعاسة لأن قلبي كان قد انفلق شقين : شقا لحب تافه وشقا لحب نبيل » .

انه أراد بالحب الأول حب الغواني ، والثاني حب الوطن . ومع كل ، فان هذا الحب التافه أيقظ في الفييري ملكة الشعر وأكسبه رقة الأسلوب واتساع الخيال ، فراح ينظم الشعر الرقيق العاطفي .

وفي تورينو ، وقع في حب سيدة من علية القوم هي المركيزة « جبريلا تورينتي دي بريي » Gabriella Torinetti di Priè فعادت السعادة الى قلبه . ولكن شاء القدر أن يعكر صفو هذا الغرام فمرضت الحبيبة وجاش صدره بالشعر فألف من أجلها تراجيديا « كليوباطرا » من فصل واحد ليسليها في فراشها . فأعجبت بها. ولما عرضها على مسرح كارينيانو Carignano لم يتوان في عرضها في يونيو سنة ١٧٧٥ ولاقت نجاحا كبيرا .

ويقول الفييري في خطاب له بتاريخ ٦سبتمبر سنة ١٧٨٣ لصديقه وناقده في حال حياته «رانييري دي كلسابيجي» Ranieri de' Calsabigi « ان ما يدفعني الى التأليف هو الضجر والملل من كل شيء اعتدت رؤيته من جهة ، ومن جهة أخرى، ميلي الى الشهرة وعلو الصيت . وهذه الأسباب مجتمعة هي التي دفعتني الى كتابة كليوباطرا . ولقد مثلت مرتين في تورينو وصفق لها الجمهور كثيرا . ومنذ هذا التاريخ (وهو يونيو ٧٥) شغفت بالتراجيديا ، وتركت قراءة اللغة الفرنسية حتى لا يتأثر بها أسلوبي الايطالي .

لم يكن الشاب الأديب راضيا عن ثقافته ولا عن لغته التي كانت في نظره ، في حاجة الى صقل وتهذيب لأنها كانت مشبوبة بلهجة أهل تورينو التي لا تصل الى درجة فصاحة ونقاء لغة أهل فلورنسا مهد النهضة الأدبية الايطالية .

ذهب الى هذه المدينة في سنة ١٧٧٧ بعد أن ترك « جبريللا » التي حاولت – على حد قوله – اذلاله واستعباده بحبها وراح يطالع بامعان وترو مؤلفات دانتي ، وبتراركا ، واريوستو وتاسو . وشاءت الأقدار أن يتعرف في هذه الأثناء بسيدة من أسرة نبيلة هي الكونتيسه لويزا دالباني Luisa d'Albany زوجة آخر مطالب بعرش انجلترا من أسرة « ستيوارت » . وأثناء اقامته في فلورنسا ألف تراجيديا باللغة الفرنسية

ثم نقلها الى الايطالية بعد تهذيبها وتنقيحها وأسماها : فيليبو Filippo ويقصد الفييرى بفيليبو هذا ، فيليبو الثانى ملك اسبانيا الغشوم القاسى الذى تزوج بايزابللا ابنة هنرى الثانى ملك فرنسا رغم أنها كانت مخطوبة لابنه — ولى عهد اسبانيا — دون كارلوس ؛ وبعد اتمام الزواج يقتل ملك اسبانيا ابنه ثم ايزابللا التى كانت تحب دون كارلوس فى صمت .

ظل الفييرى وفيا لحب الماركيزة منذ سنة ١٧٧٧ الى أن لفظ أنفاسه الأخيرة . وكثيرا ما فكر فى التخلص من جميع أملاكه وتسجيلها باسم أخته مكتفيا بريع شهرى يعينه على مواجهة الحياة ليتفرغ للأدب كلية. ولكنه لم يحقق هذه الفكرة. ومع ذلك فقد كرس فعلا حياته منذ سنة ١٧٧٨ للأدب الهادف ، حيث تضمنت مسرحياته الذود عن الوطن ومناهضته الظلم والاستبداد ، وكراهية النظام الملكى ، وابراز الفضيلة .

توفرت لألفييرى مع هذه الحبيبة الجديدة أسباب الراحة والهدوء والطمأنينة .

وكانت هذه السيدة العريقة فى النسب ، عريفة فى الأدب ، ذات ثقافة عالية ، فأثرت عليه وعلى عبقريته حتى انه اعترف فى مذكراته بتفوقها عليه فى الثقافة . ولقد دفعه طموحه وكبرياؤه الى أن يبرز كل مواهبه الأدبية أمام معشوقته حتى يصل الى مستواها بل ويسمو عليها . وتحقيقا لأمنيته هذه ، راح يؤلف التراجيديا تلو الأخرى حتى بلغت فيما بين سنة ١٧٧٧ و ١٧٨٣ أربع عشرة . ومن أقواله فى الكونتيسة : «ان فرحتى بحريتى، وتمتعى بوجودى جوار محبوبتى وسيدتى ، وانكبابى على دراساتى المحببة الى نفسى تحت إشرافها ، اكسبتنى الطمأنينة والسكينة وهدوء البال ، حتى ان الأشعار راحت تتدفق من منابع أفكارى » .

وفى سنة ١٧٨٨ مات شارل ادوارد ستيوارت المطالب بعرش انجلترا وزوج الكونتيسة ، فتزوجها الفييرى سرا وذهب بها الى فرنسا بقصد الاقامة فيها ، وطبع مؤلفاته . وفعلا نشر ستة منها . وقامت اضطرابات ١٠ أغسطس سنة ١٧٩٨ ، فمل الاقامة فى جو قلق مضطرب غير مستقر وآثر العود الى فلورنسا .

وشاءت الأقدار أن تقوم مشادة طويلة بينه وبين حراس بوابة باريس أثناء مغادرته فرنسا . كان هو والكونتيسة وخمسة من الخدم فى عربتين، فأصر الحراس على تفتيشهم فأخرج لهم جواز سفره الايطالى وجواز سفر الكونتيسه وجوازات الخدم ، ولكنهم لم يقتنعوا فقامت المشادة فحضر عليها أحد الضباط ، وبعد أن استوثق من شخصيته وشخصية من هم فى معيته أمر بفتح البوابة بين شتائم الأهالى ومحاولة انقضاضهم عليهم بفكرة أنهم من علية الفرنسيين الهاربين من محاكمات الثورة الفرنسية .

وصادرت الحكومة الفرنسية مكتبته وأمواله التى كان يستثمرها فى باريس ، كما حرمت الكونتيسة من راتبها السنوى البالغ ٦٠٫٠٠٠ فرنك كانت تتقاضاها من الحكومة بصفتها أرملة المطالب بعرش بريطانيا .

أثرت هذه المعاملة الخشنة القاسية على الفييرى. ورغم أنه كان يكره بطبيعته النظام الملكى ويتوق الى الحرية والاستقلال ، ورغم تأليفه مسرحيته التى خلد بها استيلاء الثوار على سجن الباستى

مختـــارا لهـــا اسم : باريس بدون الباســـتى Parigi Sbastigliato فانه حنق على الفرنسيين منذ ذلك التاريخ وخصهم بمر الهجاء والنقد اللاذع ، حيث سكب عليهم كل كراهيته فى قصائد ساخرة أطلق عليهـــا اسم « الفرنسى الكريه » il Misogallo جاء فى مطلعها : الفرنسيون يفعلون كل شىء، ولا يعرفون أى شىء ويعـرفون كل شىء ، ولا يفعـــلون أى شىء وكلمـا ســـبرتهم ، خف عنـــدك وزنهـم .

وترجع كراهيته للفرنسيين فى نظرنا الى جملة عوامل غير هذا الحادث ، منها أنهم كانوا محتلين لبعض مدن ايطاليا وهو عنيف فى وطنيته، والوطنية تفرض الكراهية للأجنبى ؛ وكان نظامهم ملكيـا وهو يكره الملكية ؛ وعندما قامت الثورة استولى الثوار على الحكم فنادوا بالمساواة وهــو رجل ارستقراطى ظل محتفظا طيلة حياته بكبريائه، فكره أن يتساوى هو وأفراد الطبقة الدنيا ؛ وكان ذهابه الى باريس والاقامة فيها من باب الافادة والمصلحة الشخصية لطبع كتبه واستثمار أمواله ، فصودرت الكتب والأموال .

عاد بعـــد ذلك الى فلورنســا مع زوجتـه الكونتيسة وانكب على دراسة اللغــة اليونانيـة وكان فى الخمسين من عمره . ولقد أثر المجهود الذهنى المضنى على صحته فآثر العزلة وانطـوى على نفسه ولزم لبس الســواد وبدأ فى كتـابة قصائده الساخرة الى جانب استئنافه كتابة تاريخ حياته .

ولقد بلغت كبرياؤه حدا جعله يمنح نفسه قبل موته ، وسام « فارس هوميروس » وهو وسـام وهمى ابتدعه ابتداعا .

ومات الفييرى فى ٨ أكتــوبر ســـنة ١٨٠٣ وأقامت الـكونتيسه ضريحـا فخما على نفقتهـا فى كنيسة « سانتا كروتشى » Santa Croce كما طبعت مؤلفاته كلها بأموالها ــ مات الفييرى بعد أن ترك تراثا أدبيا رفع عاليا رأس ايطاليـا فى القرن الثـامن عشر ، وخلد به اسمه ، ورفع صـيته ، محققـا بذلك أمنيتـه التى ذكـرها لصديقه كالسابيجى فى خطابه الذى ذكرناه فيما سبق من الكلام .

اعتبر المشـتغلون بالأدب من الايطـــاليين والفرنسيين أن السواد الأكبر من تراجيـــديات الفييرى تعتبر من الروائع . ونحن لا يسعنا الا أن نوافقهم على رأيهم هذا . فالفيـيرى كان يكتب بعاطفته وشعوره . ومن يقرأ مسرحياته يستشف منها أن الرجل هام بالجمال والحرية والفضيلة ، كما يلاحظ فيها أنها تعكس فى صراحـة وقـوة مآسى الحياة البشرية . فكل تراجيدياته تدور حول الشر والخير ، والمفترس والفريسة . وتمتـــاز بانسجام الكلام مع الحركة اذ حذف منهـــا كل ما هو معطل لمجرى الحوادث . وهو وان تناول قصصا تاريخية عالجها قبله أدباء آخرون ، فانه يعرف كيف يضفى عليها التغييرات الملائمة فيظهرها فى ثوب آخر ممتع ، فهو لا يرضى لنفسه أن يكون مجرد ناقل ، وانما مبتكر ومبدع .

وتمتاز مسرحيات الفييرى بارتكازها من الناحية النفسية على خصمين متســاويين فى عزة النفس والكرامة والاباء هما الطاغية والضحية . وهــذا ما نجده فى روزموندا Rosmunda وهى ابنة ملك قهره ملك آخر يدعى « البوينو » ملك لومبارديا ، ثم يتزوجها فتدبر قتله بواســـطة ظئرها وأحد نبلاء القصر من عشاقها ؛ ثم يتضح

لها أن هذا النبيل يحب «روميلدا» ابنة البونيو، فتقتلها أمام عينيه انتقاما منه .

لقد جعل الفيــيرى من روزموندا رمزا للشر المدمر المبيد وروميلدا الضحية النبيلة .

ولقد عالج هذه القصة قبله الشاعر الايطـالى « جوفانى روتشـــيلاى » (١٤٧٩ — ١٥٢٥) Giovanni Rucellai ، والشاعر الانجليزى صمويل دانييل (١٥٦٢—١٦١٩) Samuel Daniel تحت عنوان The Complaint of Rosamund وعالجهـــا أيضـــا الأديب الأســـبانى فرانثيسكوثوريا Francisco Zorilla (١٠٦٧ — ١٦٤٨) تحت عنوان Morir pensando matar ولكنهم ظلوا أوفياء للقصة التاريخية ، بينما أدخل فيها الفييرى التغييرات التى ارتآها .

واذا اطلعنا على مسرحية «هابيل» Abele نجدها أولا مذكورة فى التـــوراة ، ونلاحظ أن الشاعر الســـويسرى « ســـالومون جســـنر » (١٧٣٠ — ١٧٨٨) قد تناولها تحت عنوان«موت هابيل» Der tod Abeles كما تناولهـــا الأديب الفـــرنسى جبـــرييل مارى لوجوفى Gabriel-Marie Legouvé ومثلت سنة ١٧٨٣ . وكتبها أيضا « بيترو تراباسى » (١٦٩٨ —١٧٨٢) Pietro Trapassi للامبراطور شارل السادس . والتزموا جميعا بالنص الدينى بينما الفييرى ، عندما كتبها سنة ١٧٩٠ ، أضاف الى الأشخاص الحقيقيين (آدم وحواء وقابيـــل وهابيل) ، أشخاصا وهميين (ابليس ، الخطيئة، الحسد ، الموت ، ٠٠٠٠) ثم صوت الله . كمـــا جعل هابيل ، بعد اعتداء قابيل عليه ، يزحف حتى مكان حواء والدم ينزف من جرح بالغ فى رأسه ليخبرها بفعلة أخيه ويطلب العفو عنه ، فتنـــادى على آدم ويحاولان دون جدوى وقف النزيف ، ثم يموت هابيل بين أحضان والديه.وتطلب حواء من الرب أن يعيد الى ابنها الحياة ، فيقول لهـــا آدم : بل اسجدى لله .

وهى لا تخرج عن محور المفترس والفريسة ، والطاغية والضحية .

وله فى حث شعب ايطاليا على الانتقـــام من المحتل ، مسرحية « ميروبى » Merope وهى ملكة أغار علىبلادها الملكبوليفونتى Polifonte فقتل زوجها واثنين من أبنائها بينما فر الثالث مع تابع كهل أمين . ويطلب الملك المنتصر الزواج من أرملة الملك توطيدا لعرشه ، ولكنها تمهـــله عشر سنوات على أمل أن يمـــوت الملك خلالهـــا ، أو يحضر ولدها . ثم يجىء خلال هذه الفترةشخص يشتبه فيه بأنه الذى قتل ابنهافتطلب الانتقام منه بيدها . ولكن يحضر اليها التابع الكهل ويخبرها بأن هذا الفتى هو ابنها ، وانما أشيع بأنه القاتل خدعة حتى لا يقتله الملك بوليفـــونتى . وترتمى الأم فى أحضان ابنها . فيأمر الملك بسجنه .وهنا تقبل الزواج من بوليفونتى انقاذا لابنهـــا من السجن . ولكن فى أثناء الاحتفال بمراسم الزواج ينقض الابن على الملك فيقتله ويحرر بلاده وأمه من الطاغية المحتل .

لقد جعل الفييرى هنا من القـــاتل فى آخـــر الرواية ضحيته ، ومن الضحية قاتلا . ولـــكن شتان ما بين الاثنين فالأول مغتصـــب والثـــانى محرر لوطنه .

وغنى عن البيان أن الفييرى أدخل فى مسرحيته التغييرات اللازمة التى تجعل منه مبدعا لا ناقلا أو مقلدا .

ولقد عالج هـذه القصـة نفسها فرانتشسكو ما فى Franesco Maffei (١٦٧٥ ـ ١٧٥٥) بل وفولتير نفسه (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) ولكن ليس فى قوة تصور وخيال الفييرى .

أما التراجيـديا المسـماة ميرا Mirra فهى من نوع آخر . وتتلخص فى أن « ميرا » ـ وهى فتاة فى سن الزواج مخطوبة لشـاب يناسبها ـ تحب أباها الى درجة العشق . ولكنها تكتم هذا الهيام داخل فؤادها ، الأمر الذى يجعلهـا تبدو كالمريضة السقيمة . فتحاول أمها وظئرها وخطيبها معرفة سبب ضمورها وحزنها دون جدوى . فهى لا تريد أن تبوح بهذا السر ولا حتى لأبيها مصدر سقمها ونحولها . وتستسلم الفتاة لضـغط صراع نفسانى يدفعها الى الزواج من خطيبهـا عسى أن ينسيها هذا الحب الآثم . ولكن حالتهـا تسـوء فيسألها أبوها عن سبب حزنها وانطوائها وذبولها. وهنا لا تستطيع العاشقة الصغيرة أن تخفى على أبيها السر الرهيب ، فى قولهـا له وهى تغمس السيف فى صدرها : « ما أسـعدنى وأنا أموت بجانبك » .

هذه القصة مستقاة ، دون شك ، من قصـة « أوفيديو » التى تعشـق فيهـا « ميرا » أباها تشينيرو Ciniro وتبادله الاثم ، بينما بطلة الفييرى تخشى الذلة والخطيئـة وتحتفظ بنـار الهوى فى قلبها وتموت غير آثمة .

ولقد عالج الفييرى الكوميديا بالشعر فى آخر سنى حياته فترك ست مسرحيات كل منهـا ذات خمسة فصول نذكر منهـا الواحـد l'Uno وأراد الرمز الى الحـاكم المسـتبد . والقليلون I Pochi : وهم الارستقراطيون . والكثيرون I Troppi : ورمز بهم الى الشـعب . والنقيض l'Antidota : ويظهر فيها ضآلة الرجـل العظيم فى حياته الخاصة .

وله أيضا سبع عشرة قصيدة من النوع الساخر نذكر منهـا الملوك I Re والعظماء I Grandi وعامة الشعب la Plebe .

وله فى السياسـة كتـاب الاسـتبداد della Tirannide ويقول عنها فى مذكراته : « أنها نفثات نفس حز فيها الألم منـذ سن الصبا ألم الشعور بالظلم والضغط والاستبداد .

وله « الأمير والرسائل »
«del Principe e delle Lettere»
وقد أظهر فيها بصراحة ميوله الجمهورية .

يبقى علينا قبل تناول رائعته فرجينيا أن نتكلم عن أخلاق الفييرى لنكون قد وفينا الرجل حقه .

كان الفييرى صلب الرأى قوى الارادة ميالا الى العنف أكثر من الحزم ، هوائى الطبع ، سريع الغضب ، سريع الوقوع فى الهوى . ولقد أخـذ عليه نقاده هذه العيوب التى كان يجدر برجل فى ثقافته أن يبتعد عنها أو على الأقل يكون معتدلا فيها .

كان ارسـتقراطى المولد ، الأمر الذى جعله يحتفظ بكبريائه . كان مقترا الى حـد البخـل ، وسخيا الى حد السفه . متسامحا أحيانا ، وشرسا

أحيانا أخرى . ويقول عن نفسه « انى أجمع بين النقيضين : الخير والشر ، والحب والكراهية . وأحببت من دنياى ثلاثة أشياء : الكتب والشعر والجياد » .

ونستطيع أن نزيد عليها بدورنا ، انه كان يميل الى ثلاثة أشياء أخرى : الفن والحب والحرية .

ولقد وصفه الأديب الفرنسى « جنجنى » Guinguené بأنه كان مديد القامة ، كث الشعر أحمره،طويل الساقين نحيفهما . وكانَ أكثر ما يجد سروره فى المجالس « الصالونات » . ولم يكن متكلفا فى لفت الأنظار اليه والتفاف القلوب حوله كان كريما متعاليا ، قوى الارادة ، حساسا ، وفيا لخلانه وأصدقائه .

أما « بوليدورى » Polidori سكرتير الفييرى الخاص ــ فقد وصفه بقوله : « له كبرياء ابليس فى قصة « ملتون » وغضب « اشيل » فى قصة هوميروس ، بل ويفوقه » .

***

رائعته الأدبية :

لم يكن للتراجيديا حظ يذكر قبل الفييرى ، حيث عمد الأدباء الايطاليون الذين سبقوه الى تقليد أدباء فرنسا وأسبانيا ، كما فعل مثلا « مارتللى » Martelli ; ومنهم من راح يقلد أدباء اليونان القدامى ، كما حدث « لشيبيونى » Seipioni ; وقام المسرح الجزويتى ــ ومن أنصاره بتنيللى Bettinelli لينادى بضرورة حذف جميع المواقف الغرامية من المسرحيات ، تقويما للأخلاق ، ودفعا للرذيلة من المجتمع .

ولا يمكن انكار تأثير تراجيديات الأديبين الفرنسيين الكبيرين « كورنى » و « راسين »، على نهضة المسرح الايطالى .

واذا كانت فرنسا عرفت مسرح « فولتير » فى القرن الثامن عشر ، فان ايطاليا عرفت بدورهامسرح « الفييرى » الذى كان لبعض مؤلفاته سوق رائجة فى أوروبا . ويرجع نجاح الفييرى الى أنه جعل أشخاصه تتكلم بايجازوتعمل بسرعة لتصل بالقارىء أو ــ بالمشاهد ــ الى النتيجة دون ملل . ولقد أعترف النقاد بأن تفوق الفييرى على فولتير يرجع الى أن الأول وضع فى أشعاره أحاسيسه ، وسكب فيها جوارحه،بينما لم يمهرهافولتير الابعقله. وفعلا نرى لألفييرى ميزة على أقرانه ، فى ذوقه السليم وحسه المرهف وتسلسل أفكاره ، وتدرج أحداثه . ولم يكن خياليا الى درجة الخروج عن الاطار الطبيعى لسير الأمور ، كان يساير العوامل النفسية والغرائز البشرية ويجعلها تتفاعل فى نفسه الى أن تصير وحدة متجانسة بعد أن يجمع بأطراف الموضوع ، ويربطه بعضهببعض ، ثميخرج للناس من كل هذا ، مسرحية متكاملة .

ولما كان عقل الانسان لا ينتج الا بتحصيل قسط وافر من الثقافة والمعرفة الى جانب التجربة والتأمل، فان الفييرى غذى عقله بكثرة القراءات وسعة الاطلاع ، ثم هذب لغته وأسلوبه بنفسه ، ودرب عبقريته على فن التراجيديا حتى أصبح قادرا على أن ينقل للمشاهدين حماسه وأحاسيسه وآلامه ، وخوالج نفسه ، فيحرك مشاعرهم بفضل السبك اللغوى وانتقاء الألفاظ وموسيقية الشعر ، مع تصوير أشخاص مسرحياته على سجيتهم ، ممايجعل المشاهد يعيش فى جو التراجيديا نفسها .

وتراجيديات الفييرى لا تخرج عن أحداث تتولد وتتشعب مستقاة من الوقائع التاريخية، ثم يصبغها، بطريقة مشوقة، بصبغة الأساطير التى تستميل عادة العقول على مختلف مستوياتها، ويكسوها بالبغض والحب، والقسوة والحنان، والكبرياء والتواضع، والعنف واللين، والامتهان والعزة، بحيث تصبح درسا للناس مفيدا، وعظة لمن حادوا عن طريق الفضيلة أو غرهم سلطانهم وقوتهم فلم يرحموا الضعفاء وعاثوا فى الأرض فسادا.

ومن طبيعة الفييرى أنه يميل الى ابراز الصدمات التى تقوم بين ارادتين متناقضتين. ومن هنا، وصل فى تقديرنا الى الروعة فى غالبية مؤلفاته، حتى ان فترة من مرحلة النهضة الأدبية فى ايطاليا حملت اسمه الى أن جاء «كردوتش» (١) (١٨٣٥-١٩٠٧) ويحدثنا الفييرى نفسه فى مذكراته، عن طريقته فى تكييف التراجيديا وصبها فى قالبها الفنى فيقول: «انى أسير دائما فى التراجيديا بخطى واسعة نحو النهاية، متغاضيا عما يزحمها بلا ضرورة مقللا فى عدد الشخصيات بقدر الامكان، مع ابعادهم عن الضعف والخور فى مناقشاتهم وحوارهم خلال مجرى الأحداث، بحيث تظل التراجيديا قوية منذ المشهد الأول الى المشهد الأخير، لتشد اليها، لا أنظار المتفرجين فحسب، بل جوارحهم أيضا الى درجة تجعلهم يتخيلون أنهم يعيشون القصة.

وحب الفييرى للحرية جعله يتخذ من تراجيدياته سلاحا سياسيا بتارا: فالطاغية أو الظالم مكروه عنده حتى ولو كان بطلا صنديدا، والضحية أو المظلوم كامل الخلق عنده يتحمل نهايته المحتومة فى جلد، مما يبعث فى قلب المشاهد دوافع الرحمة والشفقة الى حد البكاء كما حدث لبايرون مثلا.

وتراجيديات الفييرى ليست فى الواقع، الا تعبيرا لما يجول فى نفسه، وتصويرا لارادته، وعزمه وطموحه، وكراهيته للظلم، وحماسه الوطنى، وروح التضحية والسخرية اللاذعة. ولا غرابة فى أن تهز هذه المسرحيات الشعب الايطالى، وتدفعه الى توحيد وطنه وطرد المحتل، لأنه نفذ من خلالها الى مشاعر مواطنيه ووجدانهم عن طريق التحليل السيكولوجى لأخلاق المجتمع.

وفى «فرجينيا» يسير الفييرى فعلا بخطى واسعة نحو «عقدة» الرواية كعادته. فهو يختصر الفصل الأول، ثم يطيل الفصلين الثانى والثالث لاظهار ترابط شعور أسرة الفتاة واتحادها على محو وصمة العبودية وان أدى ذلك الى التضحية بالنفس والنفيس، والتشاور فى ذلك. والفصل الرابع يبعث القلق فى قلوب النظارة. ثم يأتى الفصل الخامس مقتضبا ينتهى، بعد نقاش حاد بين المستشار ووالد الفتاة، بأن يذبح الأب ابنته وهى راضية، لأن فى موتها انتصار للفضيلة.

ويثير هذا المنظر المفجع غضب الشعب الذى ينقض على المستشار الظالم. وبذلك ينتهى عهد «المستشارين العشرة» عهد الظلم والاستعباد.

وتضم هذه المسرحية، كبقية المسرحيات، تصادم الارادتين: ارادة الظالم فى محاولة اشباع رغباته «البهيمية»، وارادة المظلوم الذى يضحى بنفسه صونا لشرفه. وتنتصر ارادة المظلوم لأنه على حق وتتكسر ارادة الظالم لأنه على باطل. ويقول الفييرى «انى عرضت فى هذه التراجيديا جميع الأهواء التى

---

(١) منح جائزة نوبل سنة ١٩٠٦.

تلعب بعقول البشر، وجعلتها محورا لقصة، واجتهدت في أن يوحي كل ما فيها بالعظمة » .

واذا جعل الفييري للحب نصيبا في التراجيديا فلكي يظهر الى أي مدى تذهب هذه العاطفة بالنفوس التي تغزوها . فالغرام شديد الوطأة على من يتجرع كأسه ، ونتائجه وخيمة لمن لا يقدر على كبح جماحه ويستسلم لنزواته .

ويسبغ الفييري على أشخاص هذه التراجيديا ألوانا قاتمة من الأهواء التي تلعب بالعقول البشرية وألوانا زاهية من الاصرار على الاحتفاظ بالشرف والفضيلة الى درجة التضحية بالنفس .

ولهذه التراجيديا قصة ، فقد طرأت فكرتها على المؤلف وهو في طريقه الى توسكانا ، في شهر مايو من سنة ١٧٧٧ ، على أثر قراءته ما رواه المؤرخ الروماني المشهور « تيتوس ليفيوس » Titus Livius عن مأساة هذه الفتاة . فعالج موضوعها شعرا وانتهى منه سنة ١٧٨١ . ثم مثلت التراجيديا سنة ١٧٨٤ ولاقت نجاحا كبيرا . والفتاة ، حسب قصة ليفيوس ، ذبحها أبوها سنة ٤٤٩ قبل الميلاد صونا لشرفها من مستشار يدعى أبيوس كلاوديوس Appius Claudius بهره جمالها فأراد فأراد استمالتها وتلويث شرفها دون جدوى . فكاد لها بواسطة صديق له ادعى أنها جاريته أثناء غيبة أبيها في مناورة عسكرية خارج روما . ونفذت هذه الفكرة . ونظر أبيوس القضية وأصدر حكمه عليها معتبرا اياها أمة ذلك الصديق . وفي هذه الأثناء تطوع رجل شهم بالذهاب الى حيث أبيها وأخبره القصة فحضر على الفور . وما أن سمع نطق الحكم الجائر حتى استل سكينا وطعن ابنته بها لينقذها من العار والعبودية .

وليس الفييري أول من استلهم مسرحيته من قصة هذه الفتاة المسكينة التي راحت ضحية طاغية عديم الضمير . فقد سبقه، كما نعلم شاعران فرنسيان هما « كمبيسترون » Campistron « ولاهرب » Laharpe . بيد أن الأول استغنى عن والد الفتاة ، بينما هو في الواقع أحد شقي الرحى التي تدور عليها القصة (الشق الثاني هي ابنته) ، ثم هو أظهر فرجينيا وقد نفذ الحكم فيها وتم الاعتداء عليها .

أما الثاني فانه أخرج المأساة في قالبها التاريخي الأصلي بأمانة :

ولكن الفييري تفوق على هذين الشاعرين ، حيث أدخل على الواقعة ، كعادته ، عناصر من ابتداعه جاعلا من الموضوع التاريخي مادة وطنية مؤثرة يشوبها النبل والسمو . ثم هو يخالف النص الأصلي بتمويته خطيب فرجينيا رأفة به حتى لا يشهد أباها وهو ينحرها . كما غير كثيرا في مواقف أبيها ـــ وهو رجل من عامة الشعب اتخذ الجندية حرفة للعيش ـــ فجعله يناقش مستشار الجمهورية الرومانية ويصمد أمامه ويقرعه بالحجة تلو الحجة ويرفض حكمه ، وكلها أمور غير مألوفة في المجتمع الروماني . وجعل العريس يدافع عن عروسه بقوة وحماس ويهاجم العبودية والرق في الفصل الأول من المسرحية .

والتراجيديا خليط من المشاعر والأحاسيس الانسانية والغرائز البربرية ، والميول الهمجية مع صبغة كل هذا بالسياسة .

وان أمعن الفييري في اظهار الطغيان الروماني والقسوة الرومانية ، والغدر الروماني ، فانه لم ينس ابراز عزة نفس الضعفاء من عامة الشعب ،

ومحافظة رجل الشارع على شرف أسرته ولو أدى ذلك الى حرمانه من أحد أفرادها .

ويظهر لنا الفييرى المستشار الطاغية « أبيوس» فى ثوب الرجل المقتدر الماجن المنغمس فى الرذائل، والذى رغم كل هذه العيوب ، قد انتخبه الشعب. ويرينا « ايتشـيليو Icilio فى ثوب الحبيب التواق الى الحرية المدافع عنها والذى يمـوت من أجلها .

وتطلع علينا فرجينيا فى ثوب الفتاة العفيفة الوفية فى حبها ، التى تقبل التضحية لتصون شرفها وتمحو عن الأسرة وصمة الرق .

ويخرج لنا أبوها الذى يذوب حبا وحنانا من أجلها ، وقد دفعه هذا الحب وذلك الحنان الى قتلها وحرمانه منها وهى وحيـدته ، لتمـوت شـهيدة الشرف .

ومن يقرأ أويشهد الفصلين الأولين من التراجيديا يشعر بهزة فى نفسه ، أما الثالث والرابع فانهمـا يحركان فيه الغضب والرأفة والقلق والشفقة معا، والخامس يبعث فى البدن القشعريرة والاشمئزاز، ثم البكاء من التأثر والاعجاب .

ولقد عثرت فى الجزء الثـالث والعشرين من مجموعة مؤلفات الفييرى التى طبعتها الكونتيسـة « دلبانى » على نفقتها سنة ١٨١٢ ، على خطـاب صادر بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٧٨٣ من الأديب الناقد « كازلبيجى Casalbigi » الى الفييرى ، بمناسبة ظهور طبع أربع تراجيديات من ضمنها فرجينيا .

ويعتبر هذا الخطاب سندا تاريخيا فى صـالح « شاعر الحرية » ، نقتطف منه ما يلى :«من نابونى فى ٢٠ أغسطس سنة ١٧٨٣ » .

لا أدرى ، يا سيدى الكونت المبجل اذا لم يكن من واجبى ، ومن واجب ايطـاليا ، تهنئتك على تراجيدياتك الأربع التى ظهرت فى السوق ، وعن باقى التراجيديات المنتظر ظهورها .

انها كنز ثمين لنا نحن الايطاليين الذين ظللنـا ويا للخجل ، مفتقرين الى هذا اللون من المسرحيات الذى كان مشوها قبل ظهورك . ولا تزال ايطاليا فقيرة فى مسارحها المحترمة ، علما بأننا فى حاجة اليها لتكون فخرا قوميا لنا . ولكن ايطاليا الممزقة الى دويلات عديدة لا تستطيع ، وحالتها هذه ، أن تضطلع بتحقيق طموحها فى هذا المجال : فأهـل لومبارديا ، وتوسـكانا ، والبندقيـة ، ونابولى ، والبييمونتى ، ينظرون الى أنفسهم كغرباء عن بعضهم البعض فى المصالح ، بل يعتبرون أنفسهم أعـداء وعلى الأقل غرماء ومنافسين .

«وبالرغم مما قد تعثر عليه عين الناقد النافذة المدربة ، من ملامح ضعف هين طفيف فى تراجيدياتك الثلاث ، فان فرجينيا تعتبر بحق رائعة لا يوجـد أحسن منها فى العالم ».

وحيث ان الكلام جرنا الى فرجينيا ، فلا أخفى عليك أننى أشعر ، وأنا أطالعها، كأنى فى عصر حكم المستشارين الرومانيين وفى المجتمع الرومانى برجاله ونسائه ، وهم غير راضـين على تحمـل الظـلم والعبودية .

« لقد أبدعت فى تصوير الشخصيات فجعلت من «فرجينيو » الجندى الذى شب فى الجيش على الطاعة العسكرية ، يتجاهلها عندما يتعلق الأمـر بالضـغط على حريتـه وحـرمانه منها . وجعلت « فرجينيا » وخطيبها اتشيليو يتبادلان الحب على الطريقة الرومانية .

« وألبست « أبيو » شخصية الرجل المكروه من أهل روما كلهم لمواقفه الجائرة وجبروته وغدره » .

« أما الكلام الذى حركت به ألسنة هؤلاء جميعا فبديع قوى ونافذ ، الى جانب الحركة الممتازة ، حتى ليشعر الانسان أنه يعيش معهم فى أحداثهم » .

«ثم يأتى الاتهام الباطل بأن الفتاة أمة مسترقة ولكنك أردت أن تكرمها بالموت لتجعل منها شهيدة وعاقبت الغادر على جرمه وفريته » .

« لقد استطعت أن تحرك مشاعر القارىء وتدخل فى قلبه الخوف والهلع والحزن . انك تفوقت فى نظرى على كورنى نفسه Corneille فى تراجيديته المسماة « رودوجون » Rodogune ولا أقول لك هذا من باب المجاملة ، كلا . بل على أساس من التمحيص والدراسة . »

***

والآن يجمل بنا أن نترجم المنظر الثالث من الفصل الخامس لفرجينيا :

الأشخاص : ابيو : احد المستشارين الرومانيين العشرة للجمهورية الرومانية .

فرجينيو : جندى (والد فرجينيا)

: نوميتوريا : والدة فرجينيا

اتشيليو : خطيب فرجينيا

ماركو : صديق أبيو والمدعى بأن فرجينيا أمته .

الفصل الخامس ـ المنظر الثالث

ابيو ـ قل لى : هل استقر رأيك على شىء أخيرا ؟

فرجينيو ـ منذ وقت طويل .

ابيو ـ أى أب أنت .؟

فرجينيو ـ ذلك الأب الرومانى .

ابيو ـ اذن قد فصمت كل رابطة مع اتشيليو ؟

فرجينيو ـ بل تربطنى به روابط ثلاثة .

ابيو ـ وهى .؟

فرجينيو ـ الدم والصداقة والفضيلة .

ابيو ـ أيها الخائن،اذن ستسيل الدماء لتكون الروابط أبدية مخلدة .

فرجينيو ـ انى مستعد من ناحيتى أن أسيلها لتخليدها . وثق أن مقاومتك لن تفيد فقدسمعت منطوق الحكم . والأفضل لى أن أرى ابنتى ميتة اذ لا مخرج لى غير قتلها . وسوف تنتقم لى يوما فرقة الفرسان وهذا ما أرجوه .

ابيو ـ الا ترى فرقة فرسان ابيو ؟ ها هى تدور فى ساحة السوق وأفرادها بين شاهر للسلاح وبين مغمده . ولا تنسى أن القوانين تصدر عنى . ومع ذلك ، فانى أعطيك الحرية . واعلم أن الخسارة بالنسبة لى نصر ، بينما النصر لك خزى . ولكن هل سيكتب لكم النصر ؟ ان الجمهور الذى تضع ثقتك فيه يلهو فى السوق . وأنا لا أنكر بأن الجمهور هو السيد دائما . ولكن ها هى فرجينيا تتبع الجند ويحز قلبها الحزن والألم وتمزق ثوبها وشعرها وأمها من ورائها تولول . ألا تسمع الصخب ؟ ان الصراخ والعويل يزلزلان الساحة .. من يدرى كم من الرجال المسلحين يجرهم وراءه اتشيليو القوى .

نوميتوريا ــ يا للخيانة .

الشعب ــ ياله من يوم مشئوم .

فرجينيا ــ أبى . أنت على قيد الحياة على الأقل .. أنت حى . آه . انك لا تدرى .. اتشـيليو .. يا لفداحة الأمر .

فرجينيو ــ ماذا حدث ؟ لا أرى شيئا .

نوميتوريا ــ لقد قتل اتشيليو .

فرجينيو ــ يا الهى ماذا أسمع ؟

(وهناتقص نوميتوريا كيفاغتيل البطلاتشيليو فى الساحة بايعاز من أبيو،وذلك بانقضاض أعوانه على اتشيليو وهم يصرخون : « أيها الرومان .. ان اتشيليو خائن . أنه يريد أن يجلس على عرش روما . »

فانقض عليه الجمع بسيوفهم فأردوه قتيلا . وهنا يصيح فرجينيو .

فرجينيو ــ يالها من ميتة كئيبة لرجل اتصـف بالشجاعة والاقدام .

نوميتوريا ــ كان يجب أن يموت هذا البطل بيده ولا بيد الآخرين . ولقد صاح وهو يلفظ أنفاسه«أنا لا أرضى بالملك . لا أرضى.وياعروسى تعلمى منى كيف تموتين حرة .

ابيو ــ ولكن موت اتشيليو لميدفنبقيةالخونة أيها الجنود .. هلموا الى احجزوا بينكم فرجينيو حتى يتم تنفيذ الحكم فانه جاء الى هنـا بنيـــة ملؤها السوء والشر .

فرجينيا ــ وا مصيبتاه حتى أبى .

فرجينيو ــ نعم . أنا خائن لأنى والد فرجينيا . واتشيليو خائن ، لأنه عريس ابنتى . الخونة هم الذين يمنعون ابنتهم من دنس الرق والحكم الظالم . ولكن ستكتب السلامة للفتاة الشريفة . أما أنـا فلا يهمنى الموت فأنا فى حالة أخف منها الحمام . أنا لا أرجو العفو لنفسى،بيد أنى أخافعلى ابنتى، ومن أجلها فقط تدمع عينى .

نوميتوريا ــ أفلا تبكون أنتم أيها الناس على بكائنا ؟ ماذا تنتظرون أيها الآباء ؟ تعلموا منا .. يا للشدائد .. أراكم سكوتا أيهاالأمهات. استمعن الى اتتن اللاتى حملت أحشاؤكن فلذات أكبادكن، وغذيتموهن . أتتن وحدكن تعـرفن معنى الحب والحنان . لقد أصبح انجاب الأولاد مضرة للآباء وخطأ يرتكب فى حق الأبناء.أيتها الأمهات . اذا كان شرفكن وشرف بناتكن يهدد فى هذا العصر ، فاغمسن فى صدورهن البضة أسنة الرماح دفعـا للعار .

ابيو ــ الا تسمعون . أهذه هى الأمومة ؟ الا تسمعون . انى قضيت بالحق.وفرجينيا ملك يمين « ماركو » . ولقد شهد الشهود بما يثبت ادعاءه . يا ماركو ــ خذ فرجينيا فهى أمتك ولاأستطيعانكار ذلك .

نوميتوريا ــ أهذا حكم يطاع ؟ أليس فيكم رجل رشيد ؟

فرجينيا ــ أماه . الا ترين كيف أحاط الجند بأبى ؟ انكم لن تستطيعوا انقـاذى . فما فائدة الكلام ؟ اغمسوا فى صدرى السنان . ان زوجى قد اغتيل ، ولا يبقى لى الا الشرف فلا تجعلونى أفقده هو الآخر .

ابيو ــ أيها الحراس . سلموا الأمة لسيدها ولا تأخذكم بأهلها الرأفة .

الشعب ــ ياله من يوم أسود .

فرجينيو ــ ابيو : تمهل فى تنفيذ الحكم لحظة .. لحظة واحدة واستمع لما سأقوله :

لقد ربيت الفتاة فأحسنت تربيتها ، ومنحتها كل حبى كابنتى . ولكن اذا كانت امرأتى قد كذبت ودست على هذه الفتاة ، فأنا أجهل هذا الغش منها .

نوميتوريا ــ يا الهى . ماذا أسمع : أهكذا تحط من شأن زوجتك الوفية .؟

فرجينيا ــ يا أبتى لم تغيرت فى هذه اللحظة الا تعتقد انى ابنتك ؟ يا بؤس حالى .

فرجينيو ــ كيف لا أصدق انك ابنتى ؟ بل انى كلى حب لك . ابيو . اتركنى أضم الفتاة الى صدرى الأبوى .. فرجينيا ابنتى . أقبلى فكم يسعدنى أن أناديك يا بنتى . وسأبرهن لك على خالص حبى . سأعطيك الحرية فى أحضان الموت (وهنا يطعنها بالخنجر فى صدرها فتهوى مضرجة بدمها وهى تصيح فى ألم مشوب بفرحة الخلاص من الطاغية ابيو وصون شرفها منه فى الوقت نفسه)

فرجينيا ــ آه لحق انك أبى .

نوميتوريا ــ ابنتى . يا الهى .

ابيو ــ ماذا فعلت أيها الوقح ؟ أيها الجنود .

فرجينيو ــ ان هذا الدم البرىء الذى سال الآن سيلعنك ويذهب بك الى جهنم .

الشعب ــ يا لفظاعة المنظر .. ان ابيو طاغية .

فرجينيو ــ أيها الرومان ألا تتحركون ؟ ولكن لقد فات الأوان . فالروح الطاهرة ان تركت الجسد لا يمكن ارجاعها اليه .

الشعب ــ ابيو الطاغية . ابيو الطاغية . يجب أن يموت .

فرجينيو ــ هلموا الى الانتقام قبل أن يفوت الآوان .

(وهنا يهجم أبو الفتاة والشعب على ابيو للفتك به وينزل الستار)

هذا هو اللون التراجيدى الذى يحبه الفييرى: تصادم ارادتين متعارضتين ولا يسعنا الا أن نردد ما قاله عنه الأديب فيتشيناللى :

« ان الفييرى شاعر تراجيدى مبدع مجيد بالمعنى الصحيح ، يستفيد منه حتى من قرأ التراجيديات اليونانية والفرنسية فى أبهى عصورها .

أبراهيم المويلحى